فالحقيقة إذن على مدى خطوتين، ويستر الله فلا يعثر أمين بإحدى سهواته في إحدى هاتين الخطوتين، وماذا عسى أن يعثره بعد هذا المدى؟ وكيف يعثر يا ترى؟ ذلك بعيد … وأغلب الظن أن الأمر سينكشف وأن الغاشية ستنجلي، وإن ليل الشكوك والهواجس المضطربة سيسفر بعد لحظةٍ عن فجرٍ صادقٍ بيِّن.

– ثم ماذا يا أمين؟

ثم سهوةً من تلك السهوات التي تنقض في صدمة المباغتة، والتي لا ترد على البال ولا تقع في الأوهام، والتي يُخيَّل إليك أن أمينًا لَمْ يعثر بها إلا لأنه تعمَّد أن يعثر بها وأصر على تدبيرها؛ لأن ما صنعه هو الشيء الوحيد الذي لا يُنتظَر أن يكون.

اعتدل أمين في مجلسه واتكأ على عصاه، وقال في راحة الذي لَمْ يضيع أقل فرصة وأقصى احتمال: إن السيدة لَمْ تعد بعد خروجها من دار الصور المتحركة!

– ويحك! وإلى أين ذهبت؟

– لا أدري.

– وكيف لا تدري؟ ألم تتبعها؟

– لا، لأنني ما شككتُ في أنها خرجت لحاجةٍ لها ثم تعود … ولا يليق أن أتبعها.

فانتفض همام وهو يغالب غيظه وسخطه وصاح به: يا أخرق! أليس في دار الصور ما يُغنِي سيدة مهذبة عن الخروج إلى منعطفات الطريق؟

ففطن أمين ساعتئذٍ لسهوته «الجبارة» … وأخذ في تمحل الأعذار والمسوغات، وهو — على صدقه — لا يتورع في هذه الأزمات المحرجات عن أكذوبةٍ صغيرةٍ يتقي بها التهزئة والتسخيف أشد من اتقائه الملامة والتعنيف، وقال: الواقع أنني صادفتُ والدي عابرًا فحياني وجلس معي وخشيتُ إن أنا تبعتُ السيدة فجأة أن يستريب ويتكدر، فلبثتُ في مكاني على رجاء أن تعود.

ومن الجائز حقًّا أن تكون السيدة قد ذهبت ولم تعد؛ لأنها واعدت صاحبتها أن تلقاها في مكانٍ اتفقتا عليه، ولكن إلى أين ذهبت؟ ولماذا ذهبت؟

هنا الحيرة التي لا تدع للذهن أن يتجه خطوة إلى اليمين حتى يرجع فيتجه خطوة مثلها إلى الشمال، ثم يتبلد حائرًا في موقفه لا إلى هنا ولا إلى هناك.

في الحي الذي قصدت إليه بيوت فيها مَخَادِع محجوزة لطلاب الغواية، وفيه أسرتان بينهما وبين سارة ولاء وثيق، وبعض الأطفال في إحدى الأسرتين مريض، ويجوز أن تكون سارة قد ذهبت إلى مخدعٍ من مَخَادِع الغواية كما يجوز أنها ذهبت لسؤال عن